

الفصل الثاني

حيرة قريش في أمره ﷺ وسؤالهم اليهود عنه

كان أهل مكة في حيرة من أمر النبي ﷺ فهو يحاور عبدة الأصنام ، وعبدة الكواكب والنجوم ، وعبدة الملائكة وعبدة الجن ، ومنكري الخالق ، ومنكري البعث والحساب فيلزمهم جميعاً الحجة الدامغة ...
واستمرار في حيرة من أمره ولو شاء الله لهم الهداية لهداهم ...
ومما زُِد حيرتهم وتعجبهم أنه يقص عليهم أنباء السابقين نبأ نوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى ويحدثهم عن قارن وفرعون وهامان .. ويحدثهم عن عاد وثمود ...
وما سألوه عن شيء إلا أجابهم عنه .
ثم إنه يحدثهم عن الثواب والعقاب والحشر والصراط والميزان والجنة والنار ويلزم كل واحد منهم حجته .
فلما ينس المشركون من محمد ﷺ أرادوا أن يجدوا حلاً لحيرتهم فقرروا أن يرسلوا إلى أحبار اليهود وليسألوهم عن حقيقة أمره ...

المشهد الأول

حوار في دار الندوة

في دار الندوة بمكة اجتمع الكفار كعادتهم يتشاورون في أمر محمد ﷺ

فقال أبو جهل :

يا قوم ، لو أن النضر بن الحارث ووالده الحارث بن كلدة طيب قريش والعرب أتيا بما جاء به محمد لصدقناهما ، لأنهما عرفا أجزاء الحكمة .

ولو كان أمية بن أبي الصلت هو الذي أتى بما جاء به محمد لصدقناه ؛ لأنه يقرأ الكتب ويطلع على التوراة والأنجيل وديانات الآخرين كل ذلك يؤهله للرسالة التي أرهصت بها البشارات ، قبل أن يطلع علينا محمد بما طلع.

أبو الحكم :

يا معشر قريش إنكم تتحدثون في أمور لا نفع فيها وتتركون مهام الأمور.. إن خبر محمد قد ذاع في الأوس والخزرج في بلاد يثرب وراح الناس هناك يتحدثون عن محمد وبما يحدث بيننا وبينه ..

عقبة بن أبي معيط :

نعم إن الخطب جلل عظيم . فأبو قيس بن الأسلت الذي يحبنا ونحبه بلغه ما فعلنا بمحمد وقد أرسل لنا رسولاً ومعه قصيدة يعظم فيها الحرمه وينهانا عن الحرب يأمرنا بالكف عن القتال والتحرش بمحمد ويذكرنا بالفضل والحلم والعفو .

أبو جهل:

إن أبا قيس بن الأسلت يحبنا ونحبه فهو لنا صهرٌ وكانت عنده أرنب بنت أسد بن

العزي بن قصي ...

وكان يقيم عندنا السنين بامرأته ، وهو إن أرسل إلينا بالنصيحة فنعم
الناصح الأمين .

ولكنه لو نصحننا في غير هذا الأمر لسمعنا وأطعنا . أما في أمر محمد ، فلا سمع ولا
طاعة، ولا صلح معه ولا هواده حتى يرجع عن تسفيه أحلامنا وسب ألهتنا ويتعد عن هذا
الطيش وهذا الشطط الذي هو عليه .

عقبة :

يا معشر قريش إن الرجل يذكرنا بلاء الله عندنا ودفعه عنا الغيل وكيده ... أما
سمعتم ما قاله في قصيدته وألقى القصيدة على أسماعهم .

وبعد أن سمعوا القصيدة وجلسوا وكأن على رؤوسهم الطير.

قال عقبة :

إنه ينجو منا الفرقة التي وقعت بين الأوس والخزرج عندهم في يثرب ويذكرنا بأيام
داحس وحرب حاطب .

عكرمة بن أبي سفيان : وما حرب داحس هذه يا عماء ؟

أبو سفيان بن حرب : أما تعرف حرب داحس يا ولدي ؟

عكرمة :

لا يا أبتاه إنني لم أحضر هذه الحرب .

أبو سفيان :

داحس كان فرساً لقيس بن زهير أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر يقال لها الغبراء ..

فدس حذيفة قومًا وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقًا فجاء

داحس سابقًا ف ضربوا وجهه وجاءت الغبراء .

فلما جاء فارس داحس أخبر قيساً الخبر، فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغراء، فقام فحمل بن بدر فلطم مالكا، ثم إنا أبا الجندب العبيسي لقي عوف بن حديفة فقتله ثم لقي رجل من بني فزارة مالكا فقتله فكانت حرب داحس بين الحيين .

**فقال أبو جهل : ولعلك يا ولدي لا تسمع عن حرب حاطب ؟
عكرمة :**

أبدًا يا عماه لعلها، كانت أيضًا من أجل حمار، فالحروب تقوم لأتفه الأسباب .

أبو جهل :

حرب حاطب يا بني كانت بيثرب فقد قتل حاطب الأوسي يهوديًا كان جارًا للخزرج، فخرج إليه ابن فسحم الخزرجي ليلاً في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه، فوقع الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيها للخزرج .

حكيم بن أمية بن حارث السلمي :

قام حكيم وقد أسلم خفية وقال : والله لأصرف قومي عما أجمعوا عليه من

عداوة محمد فنحن لسنا في حاجة إلى قتال .

النضر بن الحارث :

وهو ابن خالة رسول الله ﷺ وكان من ألد خصومه فقال :

يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أوتيتم له بحيلة بعد، قد كان

محمد فيكم غلاماً حدثاً أَرْضَاكُمْ فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى

إذا ما رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر، لا والله ما هو

بساحر، لقد رأينا السحرة نفتهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد

رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد

رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه، ورجزه .

وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون لقد ، رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا
وسوسته ولا تخليطه .

يا معشر قريش : فانظروا! في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم
حكيم بن أمية :

يا قوم أنا أرى بعد أن سمعنا هذا الكلام أن نذهب إلى محمد ونعلن
إسلامنا ندخل في دين الله أفواجا فتصبح مكة منارة التوحيد ويعود إليها الوئام
والسلام .

أبو سفيان :

يا قوم ، نرسل إلى محمد ، فيأتينا هنا نجادله في أمره حتى نزيد ثقة مما جاء به .

أبو جهل :

وما فائدة هذا الجدل وما قام أحد مناله ولا قعد في مناقشة إلا وقد دحضه

وانتصر عليه

أبو الحكم وقد قام من مكانه :

يا قوم أنا أرى أن نبعث رسلنا إلى أحرار اليهود في يثرب نسألهم عنه

فإنهم أهل الكتاب الأول وسيخبرونا عنه بالخبر اليقين .

أبو سفيان : نعم الرأي يا أبا الحكم .. ولكن من يذهب إلى يثرب ؟

أبو الحكم :- وقد سكت قليلاً :

لا بد أن نرسل لهم رجلين من أشد الرجال عداوة لمحمد .

أبو سفيان : ولماذا لا نرسل لهم اثنين من أقاربه ؟

أبو الحكم :

يا قوم ، نحن لسنا في حاجة إلى رسل محايدين ، بل نحن في حاجة إلى

رسل لكيلا يكون هناك أي شك ، فمن نرسله إليهم لابد وأن يكون ثقة .

المشهد الثاني

حوار الرحلة

اختارت قريش عقبة بن أبي معيط جار رسول الله ﷺ وألد أعدائه ...
والنضربن الحارث ابن خالة رسول الله ﷺ وألد أعدائه .. وبعد أيام انطلق الاثنان
إلى يثرب وهما في الطريق دار بينهما هذا الحوار...
عقبة بن أبي معيط :

ترى هل نرد من يثرب بجواب كافٍ شافٍ يشفي غليلنا وحققنا الذي نكنه لمحمد ..
النضر :

يا عقبة ، إنني أخشى أن نرجع من يثرب ومعنا الخبر اليقين الذي يؤكد
صدق محمد ورسالته .
عقبة :

وماذا لو حدث ذلك ، واللات والعزى لن أغير رأياً فيه أبداً وإن عداوته
ستظل أبد الدهر .
النضر :

أما لو أرسلت قريش غيري فأنا ابن خالته وعلى علم وحكمة .. وإن كنت
أستشعر أن ما عندي لا يساوي شيئاً بجوار ما عند محمد .
عقبة :

نعم شتان ما بين الأساطير التي نريها وليس لك فضل في إنشائها وبين ذلك
القول الحكيم الذي يتلوه أبو القاسم .

النضر :

واللات والعزى إني لفي حيرة من أمره . من أين أتى أبو القاسم ابن خالتي بهذا العلم الغزير وما اختلف إلى الرهبان والأخبار وما جلس إلى حكماء فارس وفلاسفة الإغريق ؟

عقبة :

إني لأشك فيما جاء به محمد إنه ليس من عنده ربما يكون محمد صادقاً في قوله ، لأنه ليس بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر... واللات والعزى لولا عداوتي له لقلت بأنه من عند الله الذي يدعو إليه ..

النضر :

عداوة وأبي عداوة لمحمد إن عداوتي له مريرة تؤججها نار الحسد التي ترعى بين ضلوعي .

عقبة : أنت تضمر له العداوة ، لأنه أتى بما لا تأتي به أنت .

النضر :

إن الذي يزيد من عداوتي له كيف يؤتي الحكمة وما جلس إلى الحكماء وأنا الذي طفت الأرض شرقاً وغرباً لم أعد إلى مكة إلا بأجزاء الحكمة .

عقبة :

حقاً كيف يكون ذلك وهو لم يخرج من مكة إلا مرات قليلة مع عمه أبي طالب للتجارة وقد رآه الراهب بحيرا وأخبر عمه بهذه النبوة .

النضر :

وقد حذر بحيرا عمه أبا طالب من اليهود وقال له إني أخشى عليه من يهود

عقبة :

حسناً سوف نذكر ذلك لأخبار اليهود ، وعندما يسمعون ذلك سيزداد حقدهم عليه ويخبرونا بأنه ليس نبياً ولا يصدقه أحد .

النضر :

وإذا قال أحبار اليهود بأنه ليس نبيًّا فسوف يصدقهم الناس لأنهم أهل علم وأهل الكتاب الأول . وهم على علم بكل شيء .
عقبة : بصوت خافت مرتعش .

واللات والعزى كلما اقتربنا من يثرب شعرت بخوف ورهبة شديدة لم أحس مثلها من قبل ، فلا أدري ماذا حدث لي ؟ ...
النضر : وأنا أشعر بمثل ما تشعر ولكن لا بد من الوصول إلى أحبار اليهود .

عقبة :

ولماذا تصر على هذا الأمر؟ لورجعنا إلى مكة وأخبرناهم بأن اليهود يقولون لا علم لنا به . فماذا يحدث ؟
النضر :

أجننت يا عقبة أتريد أن تكون أضحوكة القوم بالطبع سوف يعرف محمد وأصحابه أننا لم نأت إلى هنا ولم نسأل أحداً ويضحكون علينا .
عقبة : حقاً ما تقول وسوف يزيد ذلك من ثقة محمد في نفسه وعند الناس .

النضر :

قلت لك لا بد من مقابلة أحبار اليهود وسؤالهم والتحقق من صدق محمد أو كذبه
عقبة : ولماذا كل هذا الإصرار ؟

النضر :

قلت لنا لا بد من هذا فقد أصبح ديننا بمكة وما عبد الآباء معلقاً بكلمات تخرج من بين شفاه هؤلاء الأحبار .

عقبة :

ولو قالوا إن محمداً بن عبد الله رسول الله وأن الوحي ينزل عليه من السماء بآيات الله البيّنات ماذا سنفعل ؟

النضر :

اذن سيصبح النضر سخرية القوم ، بعد أن كان من المستهزئين بآبن الخالة وقرآنه .

عقبة : بصوت خافت مملوء بالخوف الشديد :

وهل سأستريح أنا من تهديد محمد فقد توعدني أشد الوعيد حينما نهرته وهو ساجد في الكعبة ، يالها من مصيبة ...

النضر :

لا تذكرنا يا أبا العرب بما فعلناه مع محمد لقد لقي منا أشد العذاب وصبر

على ذلك .

فلطالما قلت عنه إنه ساحر وإنه كاهن وإنه كذاب وطففت بين الناس في

مكة ، وفي موسم الحج أنفر الناس منه ..

عقبة :

من الذي يذكر الآخر ؟ وأنا لطالما وضعت له القاذورات أمام بيته ، وتبولت وقضيت

حاجتي أمام بابه .. ووضعت على ظهره؛ وهو ساجد في الكعبة أمعاء شاة تننة .

النضر :

ومع ذلك قد زرك وأنت مريض وسأل عنك لما غبت عنه ولم تضع

القاذورات ... يالها من أخلاق .

عقبة :

ماذا دهاك نحن قد اقتربنا من يثرب وتريد أن تثني على محمد أنسييت

العداوة بيننا وبينه هيا نستعد للدخول على أحبار اليهود ..

المشهد الثالث " الخبر اليقين "

دخل عقبة والنضريثرب وسألا عن أحبار اليهود وعلموا أنهم في بيت المدارس وانطلقوا إلى بيت المدارس وهناك مجلس أحبار اليهود الذين أطلقوا لحاهم البيضاء وغطوا رؤوسهم بعمائمهم السود وجلسوا للفتيا ليسألاهم عن محمد بن عبد الله ...

النضر بن الحارث :

عمتم مساءً من أين أنتما ؟

النضر : وهو يقلب نظره في أهل الكتاب الأول :

نحن من مكة وأنا عقبة بن أبي معيط وهذا النضر بن الحارث .

ابن سلام :

ولماذا المجيء إلينا ؟ ونحن أهل كتاب وأنتم قوم أوثان .

النضر :

أتينا لأمرجل عظيم .. منا غلام يتيم يقول قولاً عظيماً يزعم أنه رسول الله .

ابن سلام :

صف لنا صفته .

راح النضر وعقبة يصفان رسول الله ﷺ وكنهما لم يذكرنا شيئاً عن خاتم

النبوة . ثم تلا النضر بعض ما أنزل الله من القرآن الكريم .

الحصين بن سلام :

فمن يتبعه منكم ؟

عقبة :

الذي يتبعه هم سفلتنا وضعفأونا .

فأخذ الأحبار ينظر بعضهم إلى بعض ثم قال أحدهم وهو :

فنحاص :

سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول .

النضر بن الحارث : وعمّ نسأله ؟

فنحاص :

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب .

وقال كعب بن راشد :

وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاريها ما كان نبؤء .

وقال رافع بن حريملة :

وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه؛ فإنه نبي .

النضر بن الحارث في سخرية :

تتبعه ! كيف تتبعه وقد سفه أحلامنا وعاب آلهتنا ؟

قال الحصين بن سلام :

نعم تتبعونه فإنه الحق وجاء بالحق وقد عرفناه في كتبنا وإن أتى إلى

يثرب يوماً لقيته وعرفته من أوصافه ..

فقال عقبة بن أبي معيط :

أأنتم تعرفونه حقاً ؟

الحصين بن سلام :

نعم نعرفه كما نعرف أبناءنا .

عقبة :

هيا بنا يا أبا العرب نرجع إلى مكة بهذه الأخبار لعله لا يستطيع الإجابة

عن سؤال واحد منها .

ورجع النضر وعقبة إلى قريش وقالوا لهم :

لقد جنناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، وأخبراهم الخبر فقاموا إلى

النبي ﷺ ودار بينهم هذا الحوار .

أبو جهل :

يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب .

عقبة :

وعن رجل كان طوفاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ما هي ؟

رجل من المسلمين يقول :

قال لهم رسول الله ﷺ أخبركم بما سألتكم غداً ولم يُقل " إن شاء الله "

فانصرفوا عنه وراح النبي ﷺ يترقب الوحي ... ومريت مدة ولم يأته الوحي . فراح

الناس يسخرون منه ويهزءون بصاحبه وراحت أم جميل زوجة عمه أبي لهب

تدور على الديوت وتقول : أبطأ عليه شيطانه .. وكل من يقابلها في الطريق تقول

له هكذا ، ولم تكتف بذلك بل انطلقت إلى دار النبي ﷺ وتالت له في سخرية قلاك

ربك يا بن أبي كبشة .

نظرت إلى خديجة بنظرات شماتة وقالت :

لعلك تستريحين فلقد انكشف خداعكم وكذبكم ولم تستطيعوا الإجابة عن أسئلة اليهود .

فشق ذلك على رسول الله ﷺ فقامت إليه خديجة توأسيه وتشجعه حتى نهض وخرج يتجول في جبال مكة لعل الوحي يأتيه بما سألوه عنه .

وراحت الأيام تمر وسخرية الكافرين تزداد على مر الأيام وأحزن رسول الله ﷺ وصحابته تزيد معها .

ونأت يوم والرسول يجلس في حزن شديد إذا به يرى أمين الوحي جبريل فقال له في شغف ولهفة :

لقد احتبست عني يا جبريل حتى سوئت ظناً .

فقال له جبريل :

﴿ وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (١)

وأخذ جبريل يخبره عن إجابة الأسئلة الثلاثة . في شأن الفتية وهم أصحاب

الكهف . والثاني عن ذي القرنين وخبره . أما سؤال الروح فالله يقول :

﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢)

وهنا ماج القوم بعضهم في بعض .

فقال ناس أخبرنا عما سألناه .

١ - سورة مريم الآية ٦٤ .

٢ - سورة الإسراء آية ٨٥ .

وقال آخرون ومنهم أبو جهل وأبو لهب وغيرهما :

إنه متقول لم يخبرنا عما سألناه لم يقل لنا ما الروح .

وقال آخر " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون "

وراح أبو جهل يهزأ برسول الله ﷺ ... وما جاء به الحق فقال :

يا معشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يضاعونكم في النار
ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة أفيعجز كل مائة رجل
منكم عن رجل منهم ؟

فرد عليه رجل من المسلمين بعد ما نزل قول الله عز وجل :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ
كَفَرُوا... ﴾ (١)

وعادت العداوة بين الكافرين والمؤمنين أشد ضراوةً وقسوةً مما كانت عليه
وإزاد التعذيب للمسلمين ليفتنوهم عن دينهم .

أبو جهل :

لا بد أن تزداد العداوة بيننا وبين محمد وكل من اتبعه .. عذبوهم يا
معشر قريش ، ونكلوا بهم .